من مذكرات عاشق دمشقي

فرشت فوق ثراك الطاهر الهدبا
فيا دمشق . لماذا نبدأ العتبا ؟
حبيبتي أنت . فاستلقي كأغنيـــة
على ذراعي . ولا تستوضحي السببا
أنت النساء جميعا . ما من امرأة
أحببت بعدك ، الا خلتهـا كذبـا
يا شام . ان جراحي لا ضفاف لهـا
فمسّحي عن جبيني الحزن والتعبا
وأرجعيني الى أسوار مدرستـــي
وأرجعي الحبر ، والطبشور ، والكتبا
تلك الزواريب . كم كنز طمرت بها
وكم تركت عليها ذكريات صبا
وكم رسمت على حيطانها صورا
وكم كسرت على أدراجها لعبـا

□

أتيت من رحم الاحزان يا وطنـــي
اقبّل الارض ، والابواب ، والشهبا
حبي هنا . وحبيباتي ولـدن هنا
فمن يعيد لي العمر الذي ذهبـا
أنا قبيـلة عشـاق بكاملهـا
ومن دموعي سقيت البحر والسحبا
فكل صفصافة حولتهـا امرأة
وكل مئذنة رصعتهـا ذهبا ..

□

هذي البساتين .. كانت بين امتعتي
لما ارتحلت عن الفيحـاء مغتربا
فلا قميص من القمصـان .. ألبسه
الا وجدت على خيطانه عنبـا
كم مبحر ، وهمـوم البر ، تسكنـه
وهارب ، من قضاء الحب ، ما هربا

□

يا شام . أين هما عينـا معاويـــة
وأين من زحموا بالمنكب الشهبـا
فلا خيـول بني حمدان راقصـة
زهوا .. ولا المتنبي مالىء حلبـا
وقبر خالد فـي حمص نلامسـه
فيرجف القبر من زوّاره غضبا
يا ربّ حيّ ، رخام القبر مسكنـه
وربّ ميت عـلى أقدامه انتصبا..
يا ابن الوليد .. ألا سيف تؤجره
فكل أسيافنا ، قد أصبحت خشبـا

□

دمشق . يا كنز أحلامي ، ومروحتي
أشكو العروبة أم أشكو لك العربـا
أدمت سياط حزيران ظهـورهم
فأدمنوها ، وباسوا كفّ من ضربـا
وطالعوا كتب التاريخ ، وأقتنعـوا
متى البنادق كانت تسكـن الكتبـا
سقوا فلسطين أحلاما ملونـة
وأطعموها سخيف القول والخطبا
وواعدوها ، وما جاؤوا لموعدهـا
وأسكروها ، وكانت خمرهـم كذبا
عاشوا على هامش الاحداث ، ما انتفضوا
للارض منهوبة ، والعرض مغتصبـا
وخلفوا القدس فوق الوحل عاريـة
تبيح عزة نهديها لمن رغبـا ..
هل من فلسطين مكتوب يطمئنني
عمن كتبت اليـه ، وهو ما كتبـا
وعن بساتين ليمون ، وعـن حـلم
يزداد عني ابتعـادا كلما اقتربـا
أيا فلسطين . من يهديك زنبقـة
ومن يعيد لك البيت الذي خربـا
شردت فوق رصيف الدمع ، باحثة
عن الحنان ، ولكن ما وجدت أبـا
تلفتي .. تجدينـا في مباذلنـا
من يعبد الجنس أو من يعبد الذهبا
فواحد أعمت النعمى بصيرتـه
فللخنى ، والغواني ، كل ما وهبـا
وواحد ببحـار النفط مغتسل
قد ضاق بالخيش ثوبا فارتدى القصبا
وواحد نرجسيّ فـي سريرته
وواحد من دم الاحرار قـد شربا
ان كان من ذبحوا التاريخ ، هم نسبي
على العصور ، فاني أرفض النسبـا

□

يا شام . يا شام . ما في جعبتي طرب
أستغفر الشعر أن يستجدي الطربا
ماذا سأقرأ من شعري ، ومن أدبي
حوافر الخيل داست عندنا الادبـا
وحاصرتنـا ، وآذتنا ، فـلا قـلم
قال الحقيقة .. الا اغتيل او صلبا
يا من يعاتب مذبوحا عـلى دمـه
ونزف شريانه ، ما أسهل العتبـا
من جرّب الكيّ لا ينسى مواجعـه
ومن رأى السم ، لا يشقى كمن شربا
حبل الفجيعة ملتف عـلى عنقـي
من ذا يعاتب مشنوقا ، اذا اضطربا..
الشعر ليس حمامات نطيّرهـا
نحو السماء .. ولا نايا.. وريح صبا
لكنه غضب طـالت أظـافره
ما أجبن الشعر ، ان لم يركب الغضبا

دمشق — **نزار قباني**